

## الفصل الثاني

الخلافة الأموية واستدعاء  
موسى بن نصير من الأندلس



## الخلافة الأموية واستدعاء موسى بن نصير من الأندلس

فى الوقت الذى كانت فىه القوات الإسلامية تنطلق شمالا وشرقا عبر الأراضى الفرنسية كان ضابط الاتصال والارتباط بين القيادة العسكرية فى الأندلس والخلافة الأموية فى دمشق (مغيث الرومى) قد عاد من مهمة فى دمشق بعد أن قد حمل رسالة من موسى بن نصير إلى الخليفة الوليد بن عبدالمك، لكنه بعد فترة زمنية قصيرة عاد يحمل أمرا من الخليفة يوقف العمليات العسكرية فى أوروبا وعدم التقدم والزحف شمالا والتوقف فورا وكان القرار واضحا صريحا فى عدم التقدم قيد أنمله ووقف العمليات العسكرية (٩٥ هـ / ٧١٤ م) ولا يستطيع أحد تفسير دوافع الخلافة الأموية من وراء قرار التوقف هل كان نتيجة لاجراء خاص من الوليد الذى أراد الوقوف مباشرة على إنجازاته فى الأندلس فى وقت ربما شعر باقتراب نهايته «الموت» أم أن المسألة أبعد من ذلك ولها ارتباط باستراتيجية الدولة التى خشيت من انتشار المسلمين فى بلاد بعيدة وليس ثمة شك أن القرار فى غير محله وأضاع فرصة التاريخ الإسلامى التى لن تتكرر مرة أخرى باجتياح القارة الأوروبية على أيدي المسلمين والأحداث المستقبلية التى ستجرى على الساحة الفرنسية تثبت كيف ستكون نهاية مد خط الإسلام لكن على الجانب الآخر كان موسى يريد اجتياح القارة الأوروبية لاسيما أن قواته التى تحرك بها من المغرب والبالغ عددها ثمانية عشر ألف جندي لم تكن قد دخلت فى معركة كبيرة مع قوات الأعداء سواء داخل أسبانيا أو داخل الأراضى الفرنسية فى الجنوب والتى تم السيطرة عليها. وان هذه القوات كانت لاتزال مستعدة لتزحف إلى أوروبا فى وقت لم تكن فيه أية قوة أوروبية تستطيع الوقوف أمام الزحف الإسلامى الجارف لاسيما أن المدد كان بحالته التى قدم بها من المغرب والقوات على استعداد للزحف السريع لأنها لم تستنكب فى معركة حقيقية لكن موسى بن نصير أمهل مندوب الخلافة (مغيث الرومى) بعض الوقت للتقدم فى الأراضى الفرنسية وكذلك فى قشالته لتأمين الحدود الشمالية للولاية وكان قرار استدعاء الفاتحين فى أسبانيا سببا فى عدم توطيد النفوذ الإسلامى فى تلك المناطق داخل هذا الاقليم والأقاليم الأخرى فى

الشمال الغربي التي صارت فيما بعد منافذ للحركات القومية فى أسبانيا حيث انطلق منها تيار الاسترداد عندما ضعف الحكم الاسلامى فى البلاد فكان عدم القضاء عليها سببا فى تقوية الروح القومية للأسبان ولقد كان آخر اجراء منحه موسى لنفسه رغم الحاح رسول الخليفة هو التقدم فى اقليم قشتاله غير أن ذلك لم يتحقق الا بصورة جزئية وتركت بعض الأجزاء فى المناطق الشمالية الغربية كما هى دون فتح .

وهكذا أنجزت احدى أضخم عمليات الفتح فى الدولة الأموية فى مدة لم تتجاوز الأربع سنوات استطاع خلالها موسى بن نصير وطارق بن زياد أن يرفعا راية الحكم الإسلامى لأول مرة فى القارة الأوروبية والتي بدأت تطلعاتها بعد آخر لاسيما أن طموح المسلمين لم يقف عن حد اطواء شبه الجزيرة الأيبيرية تحت لواء الإسلام بل كان هذا الطموح كثيرا ما يقفز وراء جبال البرنيه التى تفصلها عن مملكة الفرنجة وهناك تحت أقدام هذه الجبال ربما تكون فكرة التوغل فى أوروبا وتطوير الدولة البيزنطية قد داعبت خيال القائد العربى موسى بن نصير كما أشار إلى ذلك ابن خلدون ولكن ذلك يبقى فى اطار الإستنتاج على الرغم من أن تحقيقه فى تلك الظروف لم يكن مستحيلا الا أن خطة الدولة انتهت عند هذا الحد فأمرت القائد بوقف العمليات العسكرية فى أوروبا والعودة إلى دمشق ، وهكذا ترك موسى بن نصير أقليم (جليقه) استجابة لإستدعاء الخليفة لرفع الحصار عن مدينة «Lugo» بحليقه وقابله طارق ورحلا سويا إلى الشرق حيث عاصمة الخلافة الأموية دمشق .

ونستطيع القول أنه من الصعب التوقف بالنقد والتقويم أمام الأحداث التاريخية وخاصة اذا كان لهذا الحدث أبعاده الممتدة إلى مسافات بعيدة من الزمن، وكان له نتائج مباشرة أدت إلى تغيير مسيرة التاريخ وفى هذه الأحداث التى يصعب وضعها فى الميزان التاريخى وتحديد نتائجها بدقة فى موضوع كعودة قادة فتح الأندلس إلى دمشق بهذه الصورة المفاجئة دون ابداء الأسباب .

ونحن لانستبعد أن تكون هذه الفكرة (الوصول من الأندلس إلى دمشق مخترقا أوروبا من الغرب إلى الشرق) قد دارت فى ذهن موسى بن نصير فقد كان قائدا

طموحاً بعيداً لأطماع لاسيما أن موسى بن نصير قد اقترب فعلا من جبال البرانس وفتح البلاد التي يسكنها قوم يتحدثون اللغة البكتيهيه وهى بلاد مقفرة يسكنها شعب همجي ومن هنا قد أصدر الخليفة الوليد بن عبدالمكك بن مروان بل وألح على عودة موسى بن نصير من الأندلس إلى دمشق وفى هذا القرار غرابة محيرة لأنه ليس له شواهد كثيرة مع غيره من قادة الفتح الإسلامى الذين سبقوا موسى بن نصير فى سجل الفتوحات الإسلاميه لاسيما أن موسى كان يعتزم بهمة عالية وتطلع إلى دخول جليقييه فى شمال غرب أسبانيا (أقليم الاسترداد) فبينما هو يعمل فى ذلك ويعد العدة له يأتى له الأمر بالخروج من الأندلس والأضراب عن التوغل فى الأراضى الفرنسيه وهنا يتضح أن الخلافة هى صاحبة قرار التوقف وليس أية عوامل أخرى كانت وراء هذا القرار لكن موسى لاطف رسول الخليفة وسأله الانتظار برهة من الوقت إلى أن ينفذ عزمه فى فتح حصن «لك» ثم المسير معه فأفتح حصن بارو وحصن ليك حتى بلغ صخرة بلاي على البحر الاخضر وكان بلاي هذا هو الذى اشعل نار الثورة ضد الوجود الإسلامى وقاد معه ثلاثين شخصا حركة الاسترداد التي تم بها طرد المسلمين نهائيا من الأندلس وبث الشعور القومى الأسباني لتحقيق هذا الهدف ولما كان قرار استدعاء الخليفة لموسى بن نصير ونائبة طارق بن زياد قرار نهائيا فكان لابد من العوده إلى المغرب ولقد ترتب علي تلك العوده توقف مؤقت للزحف الإسلامى نحو مناطق شمال غرب اسبانيا وعاد القاده بجنودهم من هذه البلاد فى اتجاه الجنوب ومع رحله العوده (ذى القعدة ٩٥هـ/ ٧١٤م) توفقت عمليات الفتح (لأن موسى لم يعهد لاحد باتمام فتح الأندلس فى الشمال الغربى الأسباني وهذا يشير إلى ان ما بقى فى الشمال الأسباني دون فتح قليل جدا ولم يعد يشكل خطر على الوجود الإسلامى (وجه نظر موسى وطارق) فى حين كان يجب على الولي الاول عبد العزيز بن موسى بن نصير بعد أبيه ومن تبعه من الولاة العمل على القضاء على هذه الجيوب التي من الممكن ان تشكل خطر فى المستقبل على الوجود الإسلامى بهذه الديار وقد وقع الجميع فى خطأ فادح بعدم القضاء التام على كل بؤر وجيوب المقاومه القوميه التي تركت لما سيكون عليه الحال دون تحسب للاحداث فيما بعد.

لذا كان قرار استدعاء كل من موسى بن نصير ونائبه طارق بن زياد إلى مقر الخلافة الأموية لمقابلة الخليفة الوليد بن عبد الملك قرار لا يستطيع احد تفسير دوافعه وما هي الأسباب وراء هذا الإستدعاء لكن نضع امام القارئ الكريم تصورا مسبقا وهو ان قرار استدعاء موسى وطارق فى الأندلس كان قرار له عواقب وخيمة على الإسلام والمسلمين فى الأندلس وكان التعجل بعدم اتاحة الفرصه لتقدم موسى لاسيما أن هناك آراء تذكر أن رسول الخليفة «مغيث الرومي» لم يكن باراً بموسى فى نقله من أخبار إلى الوليد عن الفتح وأنه كان يكره موسى ويريد به شرا لذا نقل الصورة غير الواقعية امام مجلس الخليفة مما أثار حفيظة الخليفة وصور الأمر على أنه كارثة تحل بالمسلمين إذ تقدموا فى السهول الواسعة لفرنسا وأن مغيث الرومي كان رجلا متمسرا قلقا لاسيما إنه أصر على عدم تحرك موسى فى فتوحاته شمالا لاسيما وان الطريق كان مهدد لتقدم دون ادنى مقاومه من جانب المدن الجنوبية فى الأراضى الفرنسية وكان ذلك يشكل قاعدة صلبة للاستقرار والانطلاق شمالا فيما بعد وقد يكون تفسير هذا القرار انه إجراء خاص من القيادة العليا فى دمشق للوقوف مباشرة على أخبار الفتح فى الأندلس وأنه يريد أن يستمع منهما عن أخبار الانتصارات الباهرة التى كانت تصل إلى مسامعه عن طريق ضابط الاتصال مغيث الرومي وربما تكون المسألة لها أبعاد أخرى وزوايا متعددة وأن المسألة ربما يكون لها إرتباط باستراتيجيه الدولة التى خشيت من إنتشار الإسلام فى بلاد بعيدة وأنها ربما لم تكن تعد لامر عدته من حيث الحشد والتجهيز والإعداد البشرى والمادى. وكانت ترمى فى وجود ثلاثين ألف جندى قتل منهم ثمانية ألف جندى قوة لاستيطيع التوغل فى اوربا وأنه لابد من اعادة النظر فى أمر فتح غاله الفرنجة) ثم الانسحاب شرقا وصولا إلى القسطنطينية ثم دمشق بعد ان يتم اعداد العده اللأزمه للفتح وتجهيز القوات ثم إنطلاق موسى وطارق إلى الأندلس مرة ثانية لمتابعة الفتح وليس ثمه ادنى شك فى أي القرار كان قراراً خاطئاً وفى غير محله ولا توقيتيه لاسيما أن الخلافة كانت دائما ترسل الإمدادات والمؤن والمعدات دون استدعاء القائد العام لكن القرار أضع من المسلمين فرصه تاريخية لم ولن تكرر للمسلمين فى اوربا إذا كان بإمكان هذه القوات اجتياح أوربا باقاليمها المتعددة دون أن توجد

قوه حقيقية تستطيع الوقوف أمام الزاحف الإسلامي لاسيما أن القاره وفرنسا بالذات لم تكن قد فاقت من صدمه القضاء السريع على دولة القوط فى اسبانيا وفقد لذريق قواته كامله فى معركة واحدة لان القواة الإسلامية لم تقابل فى تقدمها فى جنوب فرنسا حشود مثل التى قاتلها طارق بن زياد فى معركة شذونه أو لكه Lug وقد كان هذا الأمر من السهل تحقيقه لأن الظروف كانت مناسبة جدا ولم يكن هناك معوقات أو صعوبات تقف أمام القوات الإسلامية إلا أن خطة الدولة انتهت عندهذا الحد أمرت القائدين بوقف العمليات العسكرية فى جنوب فرنسا والعودة إلى الأندلس . وقد يكون للوليد بن عبد الملك حجته ورايه فى قرار الاستدعاء والتوقف عن التوسع ذلك لانه كان يتخوف على المسلمين ان يكونوا فى ارض بعيدة متقطعه ومحاطه بمناطق غير إسلامية ولا يمكن الاتصال بها بسهولة نظرا لبعدها عن بلاد العالم الإسلامي أو مراكز إرتباطه وإمداده وإنه أراد أن يبين له موسى الموقف بنفسه وفى حقيقة الأمر لو أن الاجل مد فى عمر الوليد بعد ان استمع إلى موسى وطارق لكان هناك رأى آخر فى اتمام عمليه الفتح وكان الموقف قد تغير نهائيا ذلك لان الوليد ليس هو سليمان الذي تولى الخلافة بعد اخيه .

لكن حدث ما حدث وقتلت فكرة موسى التى كان يسعى لتحقيقها وهي بناء دولة إسلامية فى فرنسا وان فتحها كان فتحا مستقرا وليس إرسال سرايا سرعان ماتعود إلى قواعدها جنوب جبال البرانس لكن إقامه دوله إسلامية فى فرنسا كما اقيمت فى الأندلس كانت تحتاج إلى خطط جديدة وليس الإندفاع والتقدم دون دراسته بل قوات أكثر عدة وعتاد وعدد آخر يتم تنفيذ الهدف ومن هنا كان قرار عبور جبال البرنيه «البرت» والوصول إلى الجبال ذات المنافذ إلى سهول فرنسا واختراقها والوصول إلى اريونه جنوب فرنسا ثم الإستمرار فى فتح الأراضي الكبيرة حتى الوصول الي الشام عن طريق دوله الفرنجة وشمال ايطاليا حيث بلاد اللمبارد وبقية أقليم ايطاليا ثم جنوب بلاد السلاف وجنوب سهول الدانوب (يوغسلافيا) ثم بلغاريا فالدولة البيزنطية حيث تسقط الفسططينة ثم آسيا الصغرى «تركيا» حتى يصل إلى بلاد الشام حيث العاصمة دمشق وهكذا كانت هذه الخطة

الجرثية من أسباب قلق الوليد وزأى أن ما يدور بفكر موسى ما هو إلا تغرير بالمسلمين فبعث إليه وقال لسفيره مغيث الرمي وكتب له كتابا خطيا يأمره بالتوقف والعودة لمناقشة أمور الفتح ويذكر المقرى فى كتابه نصح الطيب عن عودة موسى إلى دمشق بإنه تركها «جنوب فرنسا» وهو مع ذلك متلهف على الجهاد الذي فاته أسف على مالحقه من الإزعاج وكان يؤمل أن يخترق ما يقى من بلاء الفرنجة ويقهطم الأرض الكبير حتى يتصل بالناس إلى الشام.

ونحن نؤكد هذه الفكرة والاقوال السابقة بشأن الوصول إلى القسطينية لاسيما أن موسى كان قد تجاوز فعلا جبال البرت وتوغل فى جنوب فرنسا وهذه تقوى الفكره وتؤكدها فقد كانت واقعيه مدروسه من قبل قائد مدرب ماهر له خبره واسعة فى بلاد المغرب والفتوحات ولست مجرد أفكار خيالية ذلك لأنه كما سبق القول فإن قواته الثمانية عشر ألف التي عبر بها من المغرب كانت لاتزال يكامل قوتها وقد يكون موسى كتب إلى الخليفة الوليد بخطته او يكون رسل موسى الذين أرسلوا إلى دمشق بعد فتح طليطله وكانوا هؤلاء قد ذكروا هذه الفكرة التي ينوى موسى تنفيذها أمام الخليفة.

ومن هنا كان الخليفه الوليد قلق على جنود الإسلام وكذلك مما يذكر أن موسى أرسل فى اواخر حريف ٩٤ هـ ٧١٣ م على بني رباح ومغيث الرومى لكي يأخذ راي الخليفه فى فكرة الفتح لكل اوربا وكان موسى قد اخبر الخليفه عن طريق هذين الرسولين بما تم مجازه وفتحه وماينوى القيام به من فتوحات لاحقه مستقبيلية وكانت هناك اقوال تذكر ان الخليفه الوليد ارسل رسولا ثانيا الى موسى لكي يستعجله فى العودة وكان رسوله الثانى هذه المرة «أبي نصر» وقد كانت المدة بين الرسولين حوال أربعة شهور وذلك دليل قوي على قلق الخليفة بشأن خطه موسى وفتح أوربا وكان موسى قد أمضى ثمانية شهور فى الفتح فى شمال اسبانيا حيث الأراض الفرنسية شمال جبال البرانس منها أربعة شهور قبل الرسولين الأولين مغيث الرومى وعلى بن رباح) والأربعة الاخرى بعد قدومهما من دمشق.

وهكذا ترك موسى بن نصير عمليات الفتح في جنوب فرنسا بعد ان رتب الامور وهو في مدينة لك Lugo منصرفا نحو جنوب فرنسا. وهكذا يكون موسى بن نصير قد ادي دوره تجاه الإسلام والمسلمين وتوفى وهو متوجها لآداء فريضة الحج برفقة الخليفة سليمان بن عبد الملك وهو في المدينة المنورة ودفن بالبيح او دفن حسب روايات أخرى في وادي القري (العلا حاليا) شمال المملكة العربية السعودية. وكان موسى دائما يدعو الله أن برزقه الشهادة أو يموت ويدفن بالمدينة المنورة وقد استجاب الله دعاءه وهكذا كان فتح الأندلس والتحرك شمال جبال الپرت والانسياع جنوب فرنسا معجزة من معجزات الإسلام التي بهر بها العالم اذ كيف استطاعت قوات إسلامية محدودة العدد والعدة التمكن من فتح هذه البلاد الواسعة وتحقيق تقدم سريع واجتياز مضيق جبال الپرت انطلاقا إلى الأراض الفرنسية للمضى في فتحها ولم تلحق بهم آية هزيمة عسكرية ولم يقابلوا قوه حقيقة في الميدان رغم ما عرف عن القوط بأنهم أمه وصفت بالشجاعه والامجاد العسكرية وأن كل ما قدم به المسلمون في فتح هذه البلاد ثلاثين ألف مسلم قدموا أسبانيا على ثلاث دفعات ولم تكن دفعة واحدة مع تعدد الجهات وربما يكون قد أستشهد ربع هذا العدد بل أن القوات الأكثر عدداً التي عبرت مع موسى (١٨ ألف جندي) كانت لازالت مستعدة للزحف في الأراض الأوربية الواسعه وصولا إلى القسطنطينية ثم دمشق وهكذا كانت تتم العملية الكبرى من وراء المد الإسلامي الواسع ومع ذلك فقد كان توقف اتمام الفتح والغزو لأوروبا رغم أن كل الظروف كانت تساعد على ذلك وأن يعود القرار للخلافة الإسلامية الأموية التي أضرت قرارها بحركة المد الإسلامي على المدى البعيد ، وكانت عودة موسى وطارق من الأندلس دون التمكن من القضاء على جيوب المقاومة القوطية لا سيما في الجزء الشمالي الغربي (جليقية) ، وكذلك ضم المناطق الجنوبية لفرنسا للإدارة الأندلسية انضماما تاما ، كل ذلك كان سببا في ضياع الأندلس وظهور حركة الاسترداد والسبب القوي والمباشر في أحداث مستقبلية في معركة بلاط الشهداء حيث اتاحت الفترة بين عودة موسى وطارق إلى بلاد الشام والتحرك القوي أيام عبد الرحمن الغافقي (١١٤هـ/٩٥هـ) والعودة وما يقرب من تسعة عشر عاما أتاحت لبلاد الفرنجة وباقي أوروبا أن تحس وتدرک مدى الخطر الذي يتهددها من جراء الوجود الإسلامي

في شبه جزيرة ايبيريا وقضاء على دولة القوط في أقل من أربعة أعوام والتحرك خلف جبال البرانس عملاً لضمها للإسلام ثم البقية تأتي لكل البلاد الأوروبية .

كل هذه المسببات كانت دافعا قويا لكي تتحرك دولة الفرنجة وماجاورها من أقطار أوروبية لكي تكون على أهبة الاستعداد لمواجهة الزحف الإسلامي القادم من الجنوب ، يرفع راية القرآن انقاذاً لهذه الشعوب من عبودية الاقطاع وتمكن النبلاء وسيطرة رجال الدين وصكوك الغفران وحالة التخلف التي تعيشها هذه الشعوب في تلك الأونة من القرن الثامن الميلادي .

لكن من الأخطاء القاتلة ماتكون فيه نهاية أمة ودمار شعب وخراب أرض وهدم ديار وطررد وتشريد ملايين المسلمين من ديارهم وأوطانهم . إن الاحداث لاتدرس بالتمنى والاحلام ولكن بالحقائق التاريخية والوقائع الرسمية التي لا يختلف المؤرخون في تحليلها ودراستها وتقول أن الكتابة التاريخية لا يمكن أن تعتمد على لفظ «لو» لكن المؤكد أن صورة التاريخ الإسلامي في الأندلس وأوروبا كانت ستكون شيئاً آخر لو لم يتم استدعاء وموسى وطارق معا ولو ان أحدهما ترك في الأندلس لسارت الفتوحات كما كانت . وإذا كان لنا ان نجس في صدور نارنه اسف او اسي علي قرار اعادتهما لأن ما يترتب عليه من أحداث مستقبلية ولادار من قتال شديد على ارض بلاط الشهداء كان له ابعاد بعيدة تعود إلى عشرات السنين عندما استعدت بلاد الفرنجة ومن خلفها وتدعمها قوى البابوية وقوات اوربا بعد أن آفاقت على طرق لمسلمين لديارهم لتكون مستعدة تمام الاستعداد لمقابلة كل قوات إسلامية تعبر إلى أراض فرنسا وتجيرها على العودة إلى قواعدها في الأندلس وسوف تري في الصفحات القادمة كم قائد إسلامي اتشهد في تلك الاقاليم الجنوبية في فرنسا وبعد عبور جبال البرانس بمسافات قليلة وهكذا اتاح قرار استدعاء قاده الفتح (طارق وموسى) فرصه كبرى لكي تعيد فرنسا حساباتها وتقف بجزم وقوه ضد التحرك الإسلامي وتوقف حركه المد الإسلامي عند أبواب بوتيه عام ٧٣٢م/١١٤هـ . لكي تضع نهاية للتوسعات الإسلامية القوية وتحول دون تقدم آية قوات إسلامية أخرى إلى مدى يصل إلى بلاط الشهداء نهائنا .

